الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين ، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً ، وعملاً متقبلاً ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، اللهم زيّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين .

أما بعد :

فإن أعظم المطالب وأجل المقاصد وأنبل الأهداف الإيمان ، وهو الغاية التي خلق الخلق لأجلها وأوجدوا لتحقيقها ، وهو الذي به تنال سعادة الدنيا والآخرة ، والفوز برضا الله تبارك وتعالىٰ ، وبه ينال العبد رفيع الدرجات وعليّ الرتب ، ومقاماته ودرجاته في الجنة بحسب إيمانه ، والناس يتفاوتون في الإيمان تفاوتاً عظيماً ، ومثل الإيمان كمثل شجرة طيبة عظيمة ، لها أصلٌ ثابتٌ متمكنٌ في الأرض ، ولها فرعٌ ممتدٌ في السماء ، مثمرة أنواع الثمرات ، منتجة لأطايب الأُكل كل حين ، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وهذا مثل عظيم جداً ضربه الله سبحانه وتعالىٰ في القرآن الكريم بياناً للإيمان ، ومن المعلوم أن فائدة الأمثال جعل الأمور المعنوية بمثابة الأمور المحسوسة المعاينة المشهودة ، وفي القرآن ضُربت الأمثال بياناً للتوحيد والإيمان ، وبياناً للثواب والعقاب ، وفي القرآن الكريم أمثالٌ كثيرة ، وكما قدمت فائدة المثل جعل الأمور المعنوية بمثابة الأمور المحسوسة المعاينة المشاهدة ، ونبينا صلىٰ الله عليه وسلم أوتي ذات مرة بجمّار نخلة فأكل منه ثم قال : أخبروني عن شجرة لا يتحاتُّ ورقها ولا ولا أي ذكر شيئاً من صفاتها ، جعلها الله سبحانه مثلاً للمؤمن ، فخاض الناس في شجر البوادي . قال ابن عمر رضي الله عنه – راوي الحديث – وقد وقع في نفسي أنها النخلة ، ولكن لمكان أبي بكر وعمر لما تكلم بشيء ، فقال النبي –صلىٰ الله عليه وسلم– هي النخلة .

فالنخلة تمتاز عن غيرها من الشجر بثبات أصلها ، ومتانة عروقها ، وتمكنها من الأرض ، وتمتاز أيضاً بامتداد فرعها ، والطيب وجمال أكلها وأُكُل النخلة كما وصف الله تؤكل في كل حين ، في

وقت جنيها تؤكل بُسْراً ورطبا ، وعلىٰ مدىٰ السنة تؤكل تمرا ، وهذا المثل العظيم يستفاد منه أن الإيمان مثله مثل الشجرة ، وكما أن الشجرة لها أصل فالإيمان له أصل ، وأصل الشجر ثابتٌ في الأرض ، وأصل شجرة الإيمان ثابتٌ في قلب المؤمن ، ولشجرة الإيمان أصولٌ ستة ؛ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، وكما أن الشجر له فروع وأغصان فكذلك شجرة الإيمان لها فروعٌ وأغصان وهي كل الطاعات ، وجميع العبادات ، وكل ما يتقرب به العبد إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ هذه كلها فروعٌ لشجرة الإيمان ، وكما أن الشجر له ثمر ، والنخلة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، فكذلك الإيمان يثمر الثمرات العظيمة والفوائد المباركة ، والعوائد الحميدة علىٰ المؤمن في دنياه وأخراه ، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

وكما أن الشجر لا يحيىٰ إلا بسقي الماء ، فإذا حبس عنه الماء ذبل وإذا دام حبس الماء عنه مات ، فكذلك شجرة الإيمان لاتحيىٰ إلا بالوحي ، فالوحي غياث القلوب ونماء شجرة الإيمان ، قال الله عز وجل : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

أي كما أن الأرض الميتة إذا نزل عليها الغيث والماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، أحياها الله سبحانه وتعالىٰ من بعد موتها ، فكذلك الشأن في القلب إذا كان ميتـًا ثم منّ الله سبحانه وتعالىٰ عليه ببلوغ هذا الوحي إليه كلامه جل وعلا وحيه وتنزيله ، فإن القلب يحيىٰ به ولا يحيىٰ إلا بذلك ،

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

وبين يدينا كتابٌ عظيم لإمام جليل ؛ وهو الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالىٰ ، بيّن فيه مع اختصار هذا الكتاب ، بيانـًا وافيـًا لما يتعلق بهذه الشجرة المباركة شجرة الإيمان ، وقسّمه إلىٰ أقسامٍ ثلاثة نافعة جداً في هذا الباب :

الأول : في حدّ الإيمان وتفسيره .

والثاني : في بيان الأمور التي يستمد منها الإيمان .

والثالث : في فوائد الإيمان وثمراته .

وبنىٰ هذه الرسالة علىٰ الآية الكريمة في سورة إبراهيم :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة إبراهيم].

ونسأل الله عز وجل أن ينفعنا أجمعين وأن يزيننا بزينة الإيمان ، وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً ، ونبدأ مستعينين بالله جل في علاه ، متوكلين عليه ، سبحانه ، نشرع في قراءة هذا الكتاب المبارك (التوضيح والبيان لشجرة الإيمان) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي .

قال رحمه الله تعالىٰ :

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي غَرَسَ شَجَرَةَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الْأَخْيَارِ، وَسَقَاهَا وَغَذَّاهَا بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْمَعَارِفِ الصَّادِقَةِ، وَاللَّهَجِ بِذِكْرِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَجَعَلَهَا تُؤْتِي أُكُلَهَا وَبَرَكَتَهَا كُلَّ حِينٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالنِّعَمِ الْغِزَارِ.
وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ الْغَفَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الرَّسُولُ الْمُصْطَفَىٰ الْمُخْتَارُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَرَةِ الْأَخْيَارِ.
أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا كِتَابٌ يَحْتَوِي عَلَىٰ مَبَاحِثِ الْإِيمَانِ، الَّتِي هِيَ أَهَمُّ مَبَاحِثِ الدِّينِ، وَأَعْظَمُ أُصُولِ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ؛ مُسْتَمِدًّا ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ الْكَرِيمِ -الْكَفِيلِ بِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْأُصُولِ تَحْقِيقًا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ-، وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم ، الَّتِي تُوَافِقُ الْكِتَابَ وَتُفَسِّرُهُ، وَتُعَبِّرُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ مُجْمَلَاتِهِ، وَتُفَصِّلُ كَثِيرًا مِنْ مُطْلَقَاتِهِ.
● - مُبْتَدِئًا بِتَفْسِيرِهِ.
● - مُثَنِّيًا بِذِكْرِ أُصُولِهِ، وَمُقَوِّمَاتِهِ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يُسْتَمَدُّ؟
● - مُثَلِّثًا بِفَوَائِدِهِ وَثَمَرَاتِهِ، وَمَا يَتْبَعُ هَذِهِ الْأُصُولَ.

الشرح :

هذا الاستدلال يعدُّ من براعة الاستهلال وذلك أن من يسمع هذا الحمد والثناء الذي استهلّ به رحمه الله تعالىٰ هذا الكتاب يعلم من خلاله مضمون هذا الكتاب ، فهو حمدٌ وفي الوقت نفسه دلالة علىٰ المراد بهذا المصنف وأن هذا المصنف جُمِعَ فيه ما يتعلق بهذه الشجرة ؛ شجرة الإيمان المباركة التي غرسها الله في قلوب عباده ، ولهذا بدأ رحمه الله بهذا الاستهلال (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي غَرَسَ شَجَرَةَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الْأَخْيَارِ**) ولاشك أن هذه من أعظم النعم ، أن هذا من أعظم النعم وأجلها ، أن يمنّ الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ عبده بهذه الشجرة وأن

يمكنّ لها في قلبه ، وأن تثمر الثمار المتنوعة والخيرات العديدة التي يجنيها صاحبها في دنياه وأخراه ، وقوله **(وَسَقَاهَا وَغَذَّاهَا بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْمَعَارِفِ الصَّادِقَةِ، وَاللَّهَجِ بِذِكْرِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)** هذا فيه سقي هذه الشجرة وما يكون به نماؤها وثباتها وقوتها، وأنها لا حياة لها إلا بالعلم الذي هو وحي الله سبحانه وتعالىٰ وتنزيله جل في علاه ، وقوله **(وَجَعَلَهَا تُؤْتِي أُكُلَهَا وَبَرَكَتَهَا كُلَّ حِينٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالنِّعَمِ الْغِزَارِ.)** هذا فيه أن مافي هذه الشجرة أو ما يترتب علىٰ وجود هذه الشجرة من الثمار العظيمة والفوائد العميمة ، والخيرات المتنوعة في الدنيا والآخرة ، ثم بين أن محتوىٰ هذا الكتاب هو مباحث الإيمان التي هي أهم مباحث الدين ، وأعظم أصول الحق واليقين ، وأنه رحمه الله تعالىٰ استمدّ هذا البيان من كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا أيضاً فيه التنبيه علىٰ سلامة المصدر ، لأن من يكتبون في الإيمان لهم منابع ومشارب مختلفة ، منهم من يكتب عن الإيمان مستنداً علىٰ هواه ، أو علىٰ تجاربه ، أو علىٰ القصص والحكايات ، أو علىٰ الرؤىٰ والمنامات ، ولا يسلم المرء إيمانه ولا يصح له دينه إلا إذا بناه علىٰ كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ومن فارق الدليل ضلّ السبيل ، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم بين أن هذا الكتاب اشتمل علىٰ هذه الأمور الثلاثة :

الأول : ما يتعلق ببيان الإيمان وحده وتفسيره .

والثاني ، قال **(مُبْتَدِئًا بِتَفْسِيرِهِ)** والثاني **(ذِكْرِ أُصُولِهِ، وَمُقَوِّمَاتِهِ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يُسْتَمَدُّ؟)** والأمر الثالث : ذكر الثمار والفوائد ، وما يتبع ذلك .

قال –رحمه الله تعالىٰ – :

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥﴾ [سورة إبراهيم].

فَمَثَّلَ اللهُ كَلِمَةَ الْإِيمَانِ –الَّتِي هِيَ أَطْيَبُ الْكَلِمَاتِ– بِشَجَرَةٍ هِيَ أَطْيَبُ الْأَشْجَارِ، مَوْصُوفَةٍ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ؛ أُصُولُهَا ثَابِتَةٌ مُسْتَقِرَّةٌ، وَنَمَاؤُهَا مُسْتَمِرٌّ، وَثَمَرَاتُهَا لَا تَزَالُ –كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ حِينٍ– تُغِلُّ عَلَىٰ أَهْلِهَا وَعَلَىٰ غَيْرِهِمُ الْمَنَافِعَ الْمُتَنَوِّعَةَ، وَالثَّمَرَاتِ النَّافِعَةَ.

وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ مُتَفَاوِتَةٌ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ تَفَاوُتًا عَظِيمًا، بِحَسَبِ تَفَاوُتِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ بِهَا.

فَعَلَىٰ الْعَبْدِ الْمُوَفَّقِ أَن يَسْعَىٰ لِمَعْرِفَتِهَا، وَمَعْرِفَةِ أَوْصَافِهَا وَأَسْبَابِهَا، وَأُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، وَيَجْتَهِدَ فِي التَّحَقُّقِ بِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا، فَإِنَّ نَصِيبَهُ –مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، وَالسَّعَادَةِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ– بِحَسَبِ نَصِيبِهِ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ.

الشرح :

ذكر –رحمه الله تعالىٰ– هذه الآية من سورة إبراهيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾

وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ دعوة إلىٰ النظر والتفكر والانتفاع بهذا المثل العظيم الذي ضربه الله سبحانه وتعالىٰ مثل للإيمان ، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ هذا المثل الذي ضُرب تبياناً للإيمان هو الشجرة الطيبة ، وجاءت السنة الصحيحة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم معينةً هذه الشجرة بأنها النخلة دون غيرها م من الشجر وهذا دليل علىٰ أن النخل أفضل الشجر ، وأحسنه وأطيبه ، ويكفي دليلاً علىٰ فضله علىٰ غيره من الشجر ، وتميزه علىٰ غيره من الشجر أن الله سبحانه وتعالىٰ ضربه مثلاً للمؤمن ، أن الله ضربه سبحانه وتعالىٰ مثلاً للمؤمن ، كفىٰ بذلك دليلاً علىٰ أن النخل هو أفضل الشجر ، وأطيبه وأحسنه وأنفعه ، ولهذا جاء في بعض الأحاديث أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال (مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك) النخلة كلها نافعة وربما هذا أمرٌ لا ندركه جيداً في مثل هذا الزمان ، لكن من قبلنا يعرفون الفوائد الكثيرة التي تجنىٰ من النخل ، أعمدةً للبيوت ، سقوفاً لها ، وحصراً للجلوس ، وحافظات للطعام ، وأنواع لا حدّ لها ولا عدّ من المنافع التي تستفاد من النخلة ، ولهذا عني العلماء بهذا الباب ، والتفكر في هذا المثل الذي ضربه الله سبحانه وتعالىٰ للمؤمن وعنوا بذكر الشبه الذي بين المؤمن وبين النخلة ، وجه الشبه بين المؤمن وبين النخلة ، والآية الكريمة ذكر فيها أربعة وجوه شبه ، الآية الكريمة ذكر فيها أربعة وجوه شبه بين المؤمن وبين النخلة :

الأول : الطيب ،﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ فالنخلة شجرةٌ طيبة ، بل هي من أطيب الشجر وأنفعه وأكثره فائدة ، والمؤمن طيب ، وكلما ازداد من الإيمان زاد طيبه ، ويوم القيامة يقال لأهل الإيمان ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ لأن الجنة دار الطيب ، ولا يدخلها إلا الطيب ، فيقال﴿ طِبْتُمْ﴾ أي بالإيمان والطاعة والعبادة لله سبحانه وتعالىٰ ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾

فوجه الشبه الأول بين المؤمن والنخلة الطيب ، ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾

ووجه الشبه الثاني : أنه كما أن للنخلة أصل ثابت متمكن في الأرض ، فكذلك شجرة الإيمان لها أصل ثابت متمكن في قلب المؤمن ، وكلما قوي تمكن هذا الأصل من قلب المؤمن زانت هذه

الشجرة وطابت ، وحسنت ثمارها وكثرت خيراتها ، وكما أن النخلة لها فرعٌ في السماء أي ممتد ، فكذلك المؤمن ، فكذلك المؤمن أعماله الصالحة وطاعاته الزاكية ممتدة مرتفعة صاعدة .

ووجه الشبه الرابع في قوله ﴿ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ فكما أن النخلة ﴿ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ بإذن الله سبحانه وتعالىٰ ، فكذلك شجرة الإيمان تؤتي الثمار العظيمة ، والفوائد المباركة التي يجنيها المؤمن في دنياه وأخراه ، كما تقدم في الآية الكريمة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾

هذا مجمل ثمار شجرة الإيمان في الدنيا ، ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ هذا مجمل ثمار شجرة الإيمان في الآخرة ، وثمة وجوه شبه عديدة ذكرها أهل العلم في كتب التفسير ، وفي شروحات الحديث ؛ حديث النبي الكريم –صلوات الله وسلامه وبركاته عليه–.

قال –رحمه الله– : **(فَمَثَّلَ اللهُ كَلِمَةَ الْإِيمَانِ –الَّتِي هِيَ أَطْيَبُ الْكَلِمَاتِ– بِشَجَرَةٍ هِيَ أَطْيَبُ الْأَشْجَارِ)** وهي كما قدمت تحديداً النخلة ؛ لأن النبي – عليه الصلاة والسلام– قال (هي النخلة) في الحديث الذي في الصحيحين ، حديث ابن عمر الذي تقدمت الإشارة إليه ، **(مَوْصُوفَةٍ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ)** الطيب ، وأن أصلها ثابت مستقر ، وأن نماءها مستقر ، وأن ثمارها **(تُغِلُّ عَلَىٰ أَهْلِهَا وَعَلَىٰ غَيْرِهِمُ الْمَنَافِعَ الْمُتَنَوِّعَةَ، وَالثَّمَرَاتِ النَّافِعَةَ.) تغل** : تثمر، تنتج أنواع الثمار التي يستفيد منها أهلها وغيرهم ، قال: **(وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ مُتَفَاوِتَةٌ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ تَفَاوُتًا عَظِيمًا،)** مثل ما أن النخل متفاوت ، إذا نظرت إليه تجد هذه النخلة نظرة ونماؤها جيد ، وفروعها حسنة ، ثمارها كثيرة ، وتجد أيضاً في المقابل نخلة مريضة عبث فيها الدود ، وأيضاً الأرض التي قامت عليها لم تتمكن عروقها فيها ، أو أصابتها آفات ، أو كان ما حولها من النباتات آذتها في نمائها ، أو قلّ عنها الماء فتجدها مريضة ، وربما لا تثمر ، وربما إذا أثمرت صار الثمر غير صالحاً للأكل ، فالنخل ليس علىٰ درجة واحدة ، وهكذا أهل الإيمان ، وأذكر من اللطائف بالمناسبة ، كان لي مرة في مكة محاضرة في أحد المباني أو الأماكن في فناء الدار ، كانت المحاضرة في فناء الدار لمجموعة من المسلمين حديثي عهد بالإسلام ، من إحدىٰ الدول الكافرة ، وكان الموضوع حول هذا الموضوع ، فلما بدأت سألتهم سؤالاً قلت هل تعرفون النخلة ؟ هل رأيتم النخلة ؟ قالوا كلهم : لا ، بيني

وبينهم مترجم ، قالوا كلهم : لم نراها ، قلت : ما رأيتموها قط ؟ قالوا : أبداً ما رأيناها ، قلت لهم : بل كلكم قد رأيتم النخلة وأنا متأكدٌ من ذلك ، قالوا : والله ما رأيناها ، قلت : هذه النخلة ، وكانت علىٰ يميني النخلة في نفس المكان الذي نتحدث به ، قلت : هذه النخلة كيف تقولون ما رأيتموها ؟ قلت : لكن هذه النخلة ، مقارنةً بغيرها نخلة مريضة وضعيفة ، ولو ذهبتم إلىٰ الأماكن التي فيها الأرض الطيبة والسقي الجيد والهواء النقي ، ترون جمال النخل ، وحسنه ، وترون جمال ثماره ، ثم دخلت بهذا الموضوع ، وفعلاً عندما تنظر بهذا النظر ، والله عز وجل دعىٰ عباده إلىٰ هذا النظر والتفكر والإعتبار ، لما تنظر إلىٰ النخل ، والله عز وجل جعله مثل للمؤمن ، متفكراً معتبراً ، ولا سيما إذا استعنت بما كتب أهل العلم حول النخلة ووجوه الشبه بينها وبين الإيمان ، وشجرة الإيمان ، واعتنىٰ أهل العلم بذلك عناية جميلة جداً في كتب التفسير وشروحات الحديث ، وتتبعت كلامهم في ذلك في أنواع المصادر وجمعته في رسالة طبعت قديماً بعنوان (مماثلة المؤمن للنخلة) ومن هذه الوجوه في الشبه ما أشار إليه الشيخ هنا ، التفاوت في شجرة الإيمان ، مثل ما أن النخل يتفاوت ، مثل ما أن النخل يتفاوت في إثماره في جماله ، في سلامته في عافيته ، كما أنه يتفاوت فكذلك الأمر في شجرة الإيمان ، قال : **(وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ مُتَفَاوِتَةٌ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ تَفَاوُتًا عَظِيمًا، بِحَسَبِ تَفَاوُتِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ بِهَا)** وهي أربعة أوصاف : الطيب ، وثبات الأصل ، وامتداد الفرع ، وإيتاء الأكل .

(فَعَلَىٰ الْعَبْدِ الْمُوَفَّقِ أَن يَسْعَىٰ لِمَعْرِفَتِهَا، وَمَعْرِفَةِ أَوْصَافِهَا وَأَسْبَابِهَا، وَأُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، وَيَجْتَهِدَ فِي التَّحَقُّقِ بِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا، فَإِنَّ نَصِيبَهُ-مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، وَالسَّعَادَةِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ- بِحَسَبِ نَصِيبِهِ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ)

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلي وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه .